فى النقد أيضاً

للأستاذ محمد رفيق اللبابيدى

سيدى الأستاذ صاحب الرسالة

كنت أطمع ، وكان القراء يطمعون معى أن نظفر بسلسلة متصلة الحلقات من ردود مخولة أدبائنا على ما عرضت له فى (النقد المزيف) ، وعلى ما عرض له الأستاذ أحمد أمين ومن جاء بعده ؛ وكنا نود أن يكون لنا من هذا باب للولوج فى بحوث أخرى تعيد الأدب رجعه إلى أيام احتدام النهضة الأدبية فيثب بعض الوثوب بعد قعوده هذا القعود طوال عشر السنوات الأخيرة ، وكأنا ذهبنا فى أمانينا هذه بعيداً فلم يعدُ الكلام بضع كلمات شابها كثير من الألوان التى نشكو منها ويشكو منها أيضاً الأستاذ أحمد أمين . . .

* * *

وكاتب هذه الكلمة اليك — أو هذه الرسالة إلى صاحب الرسالة — من تعلم صغير جداً وضئيل ، وليس له من القوة ما ينزل به فى ميدان يصول فيه كبار الكتاب والأدباء ؛ غير أنه سابر البعث الأدبى فى مصر منذ حين طالباً فيها ، وسابر هذا الجمود فى الأدب أستاذاً فى معهد ثانوى بعيد عنها ؛ وقد يرى البعيد ما لا يراه القريب . ونحن معشر القراء فى خارج مصر أقدر على الحكم المجرد من العاطفة فيما هو جدير بالاحتفال به من آثار الأدباء والعلماء ؛ ثم نحن أقدر على إلقاء المجاملة الأدبية فيما نكتبه وهى ما تعوده الكتاب بعضهم من بعض ، يلبس كل منهم نقده لباساً من الأسلوب الصفيق لا ترى من خلاله الحقيقة إلا كما ترى الشمس فى يوم ماطر ملبد بالغيوم

ولست أدرى ، أو إنى لا أحب أن أدرى ، السر فى هذا الذى يغمر بيئتنا الأدبية من قواعد الكياسة فى الحذر من اغضاب الأصدقاء والقريبين حين نعرض لنقدهم . فالكاتب يريد أن يقول كلمته ، ولكن فى لجاجة الشفق الغرق ، ويريد أن يجهر بما فى نفسه ، ولكنه يتورع أن يكون جريئاً ، فقد يكون فى الغد فيما يكون فيه سواء اليوم ، وقد يقال فيه ما سيقوله هو فى غيره ، فهو واسع الحيلة يداور فى ارضاء القراء والذين يعرض الى نقدهم مداورة تحمله أن ينقد نقدا مجملاً فيه امتاع بالفكرة التائهة والرأى الطائر ، وذلك حسبه فى نقده

والحق أنى لو كنت كاتباً نابه الذكر ، طائر الصيت ، لربما كنت أشفق أن أقول اشفاق هؤلاء الكتاب الفحول ؛ وداؤنا فى الشرق مستعص ما دام النقد شخصياً بعيداً عن المثل الأعلى ؛ وهذا الضعف الخلقى فى النقد اليه وحده يرجع — فيما نعتقد — سبب هذا الركود وهذا الجمود فى أدبنا المقعد

* * *

وبعد فيا سيدى الأستاذ هل النقد بالمعنى الذى نراد عليه نحن معشر القراء — والقراء من فئة خاصة طبعاً — هو هذا اللون من تناول الكتاب أو البحث تناولاً صورياً والكتابة فيه مثل هذه الكلمات الضافية ، فيها قدرة الكاتب وبراعته ، وليس فيها علمه وعقله ، ؟ ؟ وهل النقد الأدبى هو هذا الذى نسيغه فى صحافتنا كل يوم أو كل أسبوع من مجالات الكتاب وبحوثهم العابرة ؟ ؟

وهل النقد هو هذا التقريظ الذى يتولاه كتابنا حين يدفع المؤلف أو الباحث الى المطبعة كتابه أو مؤلفه فيخرجه بعد الجهد الجاهد فى أيامه وأعوامه ليتولى الحكم فيه كاتب يقلب صفحاته بعض الساعة وقد لا يزيد ؟ . ؟ .

الحق يا سيدى الأستاذ أن ضعف النقد يرجع إذا أجملنا القول الى :

١ — احتفال الناقد بشأن المنقود

٢ — النقد العابر الصورى

وإن النقد فى مصر — وهى سوق عكاظ العرب اليوم — لا يتجاوز هذين اللونين . والكتاب بين فريقين : فريق يتحامى المنقود ، وفريق يجهل فضله فيقول ما لا وزن له ولا قيمة ، فلا يبالى بما يقوله القراء

* * *

ثم إن الطائل الذى يقع على كتاب مصر الفحول ومشيخة الأدب فيها عظيم جداً ؛ فهم قادة مسئولون ورعاة مطالبون بتأدية رسالتهم الأدبية ؛ والنقد بمقاييسه العلمية الصادقة يكشف المخبوء المتواضع من السبقريات المغمورة . وربَّ بحثٍ فى صحيفةٍ وجّه الأدب وجهة قوية ودفعه الى الغاية التى ينشدها هؤلاء العامة عليه دفعاً لا ازورار بين يديه ولا نكوص

ومتى كان لهذا النقد هذا الوزن فقال الناقد قولَه لم يخطب